الوحي الالهي بنظرة تحليلية

جدول محتويات البحث الاول

التمهيد

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء المرسلين محمد واله الطبيين الطاهرين المعصومين وصحبه المنتجبين .

وبعد : فإن القران الكريم هو الكتاب الذي انزله الله سبحانه وتعالى على صدر نبيه الكريم النبي الأمي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ وكان أول نزوله في غار حراء الواقع في احد جبال مكة من ارض جزيرة العرب القاحلة ، والتي يعش أهلها في محيط صحراوي وفي مجتمع متصحر من كل شيء ؛ من الماء والزرع ، والمال ، والفكر ، والثقافة ، والعلم ، والمعارف ..الخ ، سوى ألاستعداد الفطري المفعم بروح الحب، والانصياع لكل خير ، وعمل صالح ، حيث كان شائعا في تلك الجزيرة من ارض العرب الكثير من الصفات الخلقية من الكرم ، والشجاعة ، والمروءة ، وإقراء الضيف ...الخ ، لكننا نرى إن الشجاعة عندهم سرعان ما تتحول إلى تهور ، والمروءة قد تتحول إلى تفاخر وتعالي على الآخرين ، والكرم قد يتحول إلى إسراف ..الخ ، فقد جاء القران الكريم في تلك البيئية العربية القاسية عربيا بلغته ، وكلامه ، ومنطقه قال الله تعالى في كتابه الكريم : (وكذلك أنزلناه حكم عربيا)[1]... ، ونزل على نبي عربي ، وفرد من أفراد مجتمع عربي يحمل آلام مجتمعه وآمالهم ، وتطلعاتهم نحو حياة أفضل ليفهمه العرب الذين مثلوا قاعدة الدين الإسلامي ، ومنطلق الرسالة العظيمة ليبلغوها إلى جميع بني البشر رحمة للعالمين ، ومنفتحا على

[1] سورة الرعد . الآية . ٣٧

جميع الأقوام ، والأعراق ، واللغات من دون إن يجمد على عروبته وقوميته فيكون دنيا منغلقا ، بل كان مصدر هداية للناس جميعا إلى الملة ، والطريقة ، والشريعة ، والحياة المتوازنة التي يوازن الإنسان فيها بين عناصر الحياة ، فلا يطغى فيه جانب على جانب فتتوازن الدنيا والآخرة ، والمادة ، والروح ، في حركة الإنسان ، وفي مشاريعه ، وخطواته ، وعلاقاته فيتحول الإنسان بالحياة الفردية ، والاجتماعية دون إساءة فيوفق بين الزهد ، والشجاعة ، والكرم ...الخ ، وبين الاستفادة من الطيبات في الحياة الدنيا قال الله تعالى في كتابه الكريم (إن هذا القران يهدي للتي هي أقوم)[1]...

فالقران الكريم قد نقلهم من حالة الجهل ، والمزاجية ، والخرافة ، والأساطير ، والفقر ، والضلال ،التي كانت حالة مستشرية في حياتهم ،

[1] سورة الإسراء . الآية ٩ .

وتعاملاتهم ، وعلومهم ، لأنهم مجتمع أمي لا يعرف جله القراءة ، والكتابة إلى أعلى حالات الوعي ، والمعرفة ، ودرجات التكامل قال الله تعالى : ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[1] ..، وان عظمة القران تتجلى من خلال كونه الكتاب المنزل من قبل الله سبحانه ، وتعالى ، ومرتبطا به ارتباطا مباشرا ، فيكون الإحساس بالارتباط به يشعر الإنسان دائما بأنه مرتبط بالله سبحانه وتعالى ، وانه محفوف بعالم واسع الآفاق ، وغير متناه.

فان كتاب بهذه الميزات العالية كان حقيقا إن يكون موضع اهتمام جميع المسلمين ، ولاسيما أصحاب الفكر والتبحر منهم ، بل كان موضع اهتمام الباحثين ، والمفكرين جميعا حتى من غير المسلمين ، وبما إن القران بستان معارف متنوعة ، ومصدر أفكار لا تنضب ، ولا تستهلك مهما تطاول عليها الزمن ، بل تزداد بريقا ، ولمعانا كلما بعد عنها الزمان ، وامتد بها العمر ؛ لذلك فقد شغل جميع المهتمين على مختلف اختصاصاتهم ، وقد طرق الباحثون علوم كثيرة ، ومتعددة منه ، كالتفسير ، والتلاوة ، والإعراب ، والبلاغة ، والإعجاز ، وغيرها من العلوم .

لذا فأني سوف أتناول في هذا البحث بعض الموارد من علوم القران ، ومن الله المعين نستمد العون

---

(1) سورة إبراهيم . الآية ١ .

١-الوحي في الاستعمال القرآني

إن الله أول ما خلق الإنسان جعل مسالة الوحي ملازمة له في كل فترات حياته فلم ينفصل الوحي الإلهي عن أي دور من ادوار الحياة الإنسانية ؛ لكون الإنسان قد خلق بعناية ألاهية خاصة ، وله دور متميز عن جميع المخلوقات يقوم به في الحياة الدنيا ، وهو دور الخلافة الإلهية .

فالإنسان وحده هو الذي يقوم بتأدية هذا الدور : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[1] ..، وهذا ما يجعل مسالة الوحي ملازمة للإنسان لأنه الطريق الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لكي يرتبط الإنسان به حتى يتسنى للإنسان بواسطة ذلك الطريق من تأدية دور المستخلف على أتم وجه ، ولذلك فلابد لنا إن نقف على حقيقة الوحي الإلهية ما المقصود منه ولكي نعرف ذلك لا بدان نرجع إلى القران نفسه لنرى ماذا يريد بالوحي : لقد استعمل القران الكريم كلمة الوحي في المعنيين اللغوي وفي الاصطلاحي : حيث إن مدلول كلمة الوحي لغة تعني : الإعلام الخفي.

والاصطلاح فهي تعني : طريقة الاتصال الغيبي الخفي العامة بين الله سبحانه وتعالى ، ومن اصطفاهم من بني البشر .

---

(١) سورة البقرة . الآية . ٣٠.

١- الاستعمال القرآني للوحي اللغوي

فمن استعمال القران الكريم للمعنى اللغوي لمدلول كلمة الوحي قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾[١]..

فان الإيحاء هنا بمعنى الإلهام الغريزي لدى الحيوان .

ومنه قوله تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[٢] ..

فان الإشارة السريعة على سبيل الرمز ، والإيماء هو وحي ، وإيحاء .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[٣]..

فالإيحاء هنا هو : من الإلهام الفطري لدى الإنسان .

ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[٤] ..

فمعنى الوحي هنا الهام الحواريين الحجج وتوطين نفوسهم على التصديق بها عن طريق الإيحاء من اجل ثبوت الإيمان بالله في قلوبهم

---

(١) سورة النحل . الآية . ٦٨.

(٢) سورة مريم . الآية . ١١.

(٣) سورة القصص . الآية . ٧.

(٤)سورة المائدة : الآية: ١١١.

المشككة ، والتسليم لرسوله لان الذي يبدو إن هناك حالة شك تنتاب البعض منهم على الأقل بقرينة ما بعدها من الآيات التي تبين طلب أشياء تأتيهم من الله مباشرة من دون توسط نبيهم من اجل إن تطمئن قلوبهم ، كالمائدة التي طلبوا نزولها من الله مباشرتا ، ومن المعلوم إن طلب مصاديق للحجج اللاهية من قبل غير المعصوم لاطمئنان القلب يكون مسبوقا قطعا بحالة من الشك ، والارتياب .

فقد جاء في تفسير العياشي سال أبو جعفر ؛ (إذ أوحيت إلى الحواريين..) قال عليه السلام : ألهموا ...

ومنه قوله تعالى : (إذ يوحي ربك إلى الملائكة إني معكم فثبتوا الذين امنوا)[1]..

فقد جعل الله إلقاء الأمر منه للملائكة من اجل تثبيت قلوب المسلمين في ساحة الحرب مع المشركين بأنه وحي .

كما إن الوحي الذي استعمله القران الكريم لم يختص بكون مصدره هو: الله سبحانه وتعالى ، أو الملائكة الكرام ، أو عباده الصالحين ، بل شمل الاستعمال القرآني ما كان مصدره الشياطين ، والمردة من الجن ، والإنس، فقد أطلق على تزين الشياطين ، ووساوسهم ، ومكرهم ،

---

(١) سورة الأنفال . الآية . ١٢ .

وخداعهم بالوحي كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ ﴾[1]..

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗا ﴾[2]

ب- الاستعمال القرآني للوحي الاصطلاحي

ومن استعمال الوحي بالمعنى الاصطلاحي قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا ﴾[3] ..

إن هذه الآية المباركة قد جمعت الطرق العامة للوحي والاتصال الغيبي الخفي بين الله ، وأصفياءه ؛ حيث يكون الإنسان الذي يوحى إليه هو : كونه مبعوث من قبل الله سبحانه وتعالى إلى الناس الذين يراد إيصال التعاليم ، والتشريعات ، والأحكام الإلهية إليهم ، وحددت له ثلاث صور هي : -

الأولى : الإلقاء المباشر للتعالم ، والأحكام الإلهية في قلب النبي ، أو النفث في روعه بصورة يحس بأنه تلقاه من الله تعالى ، أو يخلق ما يريده الله

(1) سورة الإنعام . الآية . ١٢١.

(2) سورة الإنعام . الآية . ١١٢.

(3) سورة الشورى . الآية . ٥١.

سبحانه وتعالى في قلبه ، كما في وحي داودعليه السلام حيث أوحي في صدره فزبر ألزبور.

وكما حصل لنبينا محمدصلى الله عليه وآله كما روى زرارة عن الإمام الصادقعليه السلام قائلا : جعلت فداك ..الغشية التي كانت تصيب رسول اللهصلى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحي؟!..

قال..، فقالعليه السلام : ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله احد ..ذاك إذا تجلى الله له ..، قال: ثم قال: تلك النبوة يا زرارة ..واقبل يتخشع ..

وفي الدر المنثور اخرج البخاري ، ومسلم ، والبيهقي عن عائشة إن الحارث بن هشام سال رسول اللهصلى الله عليه وآله كيف يأتيك الوحي ؟ ..

قالصلى الله عليه وآله: أحيانا في مثل صلصة الجرس يفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال ، وهو اشد علي ، وأحيانا يتمثل لي الملك فيكلمني فأعي ما يقول..

قالت عائشة : ولقد رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم ، وان جبينه ليتفصد عرقا[١]..

الثانية : تكليم النبي من وراء حجاب ، كما نادى الله موسى من وراء الشجرة ، وسمع نداءه ، وكما كلم الله سبحانه نبينا محمدصلى الله عليه وآله ليلة المعراج من وراء الستر[٢]..

---

(١) العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي : تفسير الميزان : ج١٨/٨٢

(٢) سلطان محمد الجنابذي : تفسير بيان السعادة : ج٤/٥١ .

وفي كتاب التوحيد عن الرضا ﷺ : في كلام طويل ..فيه.. لا تشمله المشاعر ، ولا يحجبه الحجاب ، فالحجاب بينه وبين خلقه لامتناعه مما يمكن في ذواتهم ، ولإمكان ذواتهم مما يمتنع منه ذاته ، ولافتراق الصانع عن المصنوع ، والرب عن المربوب ، والحاد عن المحدود[١]..

الثالثة : هي تكليف الوحي المرسل من قبل الله تعالى إلقاء ما يريد الله سبحانه إلى نبيه سواء انزل عليه بصورة إنسانية ، أو ملكية .

وفي آمالي الشيخ بإسناده عن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال ..قال بعض أصحابنا .. أصلحك الله كان رسول الله ﷺ يقول .. قال جبرائيل .. وهذا جبرائيل يأمرني .. ثم يكون في حال أخرى يغمى عليه .. فقال أبو عبد الله عليه السلام : انه إذا كان الوحي من الله ليس بينهما جبرائيل أصابه ذلك لثقل الوحي من الله ، وإذا كان بينهما جبرائيل لم يصبه ذلك .. فقال .. قال لي جبرائيل.. ، وهذا جبرائيل ...

وبذلك يتلخص مما تقدم إن القران الكريم استعمل لفظ كلمة الوحي في معنيين مختلفين تمام الاختلاف .

فاستعمل كلمة الوحي التي تطلق ويراد منها المعنى التي يتبادر إلى ذهن الإنسان العرفي وهو مطلق الإعلام الخفي أي كان نوعه ، أو مصدره ، واستعمله باستعمال آخر ذا معنى مختلف ، وهو : الطريقة التي

---

(١) محمد بن محمد بن رضا ألقمي : تفسير كنز الدقائق : ج١١/٥٤ .

رسمها الله لإيصال تعاليمه ، وأحكامه إلى عموم خلقه عن طريق مجموعة من عباده الذين اصطفاهم لذلك .

٢- التشابه لظاهرة الوحي بين جميع الأنبياء

إن ظاهرة الوحي تتحد في حقيقتها ، ومضمونها عند جميع الأنبياء ، والمرسلين من قبل الله سبحانه وتعالى وان كانت قد تختلف في تنوع صورها سعة ، وضيقا ، فالآية المتقدمة ، وان كانت تعبر عن الصور العامة التي تحصل حينما يريد الله تعالى يكلم عباده المصطفين والمنتجبين لحمل تعاليمه إلى الناس ، إلا إن هناك طرق ، وتفرعات أخرى في مسالة الوحي ..(فالبعض يعتقد إن الملائكة تقوم بإنزال الوحي ؛ وهذا يتم عبر أربعة طرق ١- يقوم الملك بالإيحاء إلى روح النبي وقلبه دون إن يتجسد أمامه كما نقرا ذلك في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله حيث يقول : إن روح القدس نفث في روعي انه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب ٢- يتقمص الملك أحيانا شكل الإنسان ، ويتحدث مع النبي (حيث تذكر الأحاديث إن جبرائيل ظهر بصورة دحية الكلبي) ٣- وأحيانا يكون على شكل رنين يدوي صوته في الإذن ، وكان هذا أصعب أنواع الوحي بالنسبة للرسول حيث كان يتصبب عرقا حتى في الأيام الباردة ، وإذا كان راكبا على دابة فإنها كانت تقف ، وتجثوا على

الأرض ٤- كما يظهر جبرائيل أحيانا بصورته الأصلية التي خلقه الله عليها...)(١) ..

فقد يجمع الله تعالى لبعض الأنبياء جميع أنواع، وطرق الوحي، كما هو ظاهر تنوع طرق الوحي بين الله تعالى ونبيه محمد صلى الله عليه وآله وقد يختص الوحي عند بعض الأنبياء على بعض الطرق، كما عرف عن نبي الله موسى عليه السلام حيث يوصف بأنه كليم الله، وظاهر الوصف يدل على الاختصاص.

ومن الآيات التي تبين التماثل والتطابق لمسالة الوحي عند جميع الأنبياء باعتبار وحدة المصدر، والغاية رغم تنوع الطرق، والصور قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾(٢) ..

٣- الوحي نظرة وتحليل

مما تقدم إن مسالة الوحي الإلهي إلى أصفياءه هي من الحقائق اللطيفة، كالروح، والعقل، وغيرها من الحقائق التي تعرف وتدرك بآثارها دون كنهها فقد أدرك عباد الله المصطفين، تلك الحقيقة ـ الوحي ـ، وعاشوها

(١) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: تفسير الأمثل: ج١٥/٥٢٥.

(٢) سورة النساء. الآية. ١٦٣. ١٦٤.

بشعورهم وكيانهم وكامل إدراكهم ، وشعر بهذه الحقيقة ـ الوحي ـ كل المحيطين بهم ، والمرتبطين بهديه على مر العصور ، وتبقى حقيقتها ـ الوحي ـ يعشها أصحابها لوحدهم ، ولا يمكن إيصالها لغيرهم ، كالإنسان المبصر الذي يعيش بين أناس لا يبصرون منذ الولادة ، فانه مهما أجهد نفسه ليعرفهم حقيقة ما يعش فيه من نعمة الإبصار ، فانه لا يستطيع إيصال ذلك مهما بالغ في الأمر ، رغم إنهم يتلمسون آثار ما يحيط به صاحبهم من تلك النعمة ؛ والفرق شاسع بين ما يشعر به الأنبياء من حقيقة الوحي ، وبين ما يحس به الإنسان المبصر .

ولاستحالة إدراك تلك الحقيقة حالها حال الحقائق الأخريات التي يعجز الإنسان عن إدراكها ، كالروح ، والعقل ، والتي لا يستطيع احد إنكار آثارها ، اخذ الغرب ينكرها مطلقا ، أو ينكر البعض منها وهو ما يخص وحي نبينا محمدﷺ لإمراض ، نفسية ، أو عقد شخصية ، أو لأهداف سياسية ، وتعقيدات حياتية تحيط بالشخصية الغربية .

(..فقد كان الغربيون قبل القرن السادس عشر وما أعقبه من نهضة مادية يؤمنون بالوحي لان كتبهم كانت مليئة بإخبار الوحي ، وعندما جاء العلم الجديد بشكوكه ، وبهادياته فقد أنكروا حينذاك الوحي ، وجعلوه من بقايا الخرافات القديمة ، وغالوا في الإنكار حتى بلغت مغالاتهم إلى إنكار الخالق ، والروح معا ، وعللت ما ورد عن الوحي في الكتب القديمة بأنه إما لاختلاف المتنبئة أنفسهم لجذب الناس إليهم ،

وتسخيرهم لمشيئتهم ، وإما إلى هذيان مرض يعتري بعض العصبيين فيخيل إليهم إنهم يرون أشباحا تكلمهم ، وهم لا يرون في الواقع شيئا ...فلما ظهرت أية الأرواح في أمريكا سنة ١٨٤٦م وسرت منها إلى أوربا كلها واثبت للناس بدليل محسوس وجود عالم روحاني آهل بالعقول الكبيرة ، والأفكار الثاقبة تغير وجه النظر في المسائل الروحانية ، وحييت مسالة الوحي بعد إن كانت في عداد الأضاليل القديمة ، وأعاد العلماء النحت فيها على قاعدة العلم التجريبي المقرر لا على أسلوب التقليد الديني ..)[(١)٢].

ولو حاولنا تحليل مسالة الوحي لعلنا نجد أنها ولو شكلا مرتبطة بالفكر ارتباطا وثيقا ، وحيث إن كل فكرة يدركها الإنسان فهي مرتبطة في وجودها بنحو ما بالله سبحانه ، وتعالى خالق الإنسان وكل شؤونه .

فان شعور الإنسان تجاه مصدرها قد يكون مختلف وهناك ثلاثة إنحاء يمكن تصورها بشكل عام لإدراك مصدر الفكرة:

الأولى : إن يكون إدراك الإنسان لمصدر أفكاره نابع من شعوره بان الفكرة وليدة ذاته وجهد الخاص ، وإدراكه الشخصي ، وهذا الشعور هو : شعور الإنسان لما اعتاده من أفكار في الأعم الأغلب .

---

(١)الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (نقل عن دائرة معارف القرن العشرين :)تفسير الأمثل : ج١٥/٥٢٩

٢

الثانية : إن يكون إدراك الإنسان لمصدر أفكاره هو طرف علوي حيث يشعر بأنها جاءته من مصدر من منفصل عن ذاته فيكون قد أدرك للفكرة طرفان الذات الملقية ، والذات المتلقية ، ولكنه إدراك لا يصل إلى درجة وضوح الطريقة ، والأسلوب التي تمت فيها عملية الإلقاء ؛ وهذا النوع من تلقي الأفكار هو الذي يسمى (بالإلهام) الإلهي

الثالثة : إن يكون إدراك الإنسان لمصدر أفكاره هو طرف علوي حيث يشعر بأنها جاءته من مصدر من منفصل عن ذاته فيكون قد أدرك للفكرة طرفان الذات الملقية ، والذات المتلقية ، ولكنه يرافقه شعور حسي مضاف إلى ادراكه السابق بالطريقة ، والأسلوب الذي تمت به عملية الإلقاء ، والاتصال ، وهذا الحس والشعور ـ سواء الحس بان الفكرة جاءت من أعلى ، أو الحس بان مجيئها كان بالأسلوب الخاص ـ لابد إن يكون واضحا ، وجليا ، بوضوح إدراكنا للأشياء بحواسنا العادية ، أو أوضح من ذلك ، وهذا ما يحدث في حالات الوحي بالنسبة إلى الأنبياء ، أو ما أدركه نبينا محمد بن عبد الله ﷺ من وحي القران الكريم على الأقل.

٤- الشبهة حول الوحي وردها

مما تقدم يظهر إن النظرة الأوربية للوحي لا تختلف عن نظرتهم للعقل ، والروح ، وغيرها من الحقائق التي لم يكن للحس ، والتجربة ، نيلها منها ، فبعد إن حققت العلوم التجريبية عندهم طفرات كبيرة ، وهائلة ،

وأصبحت المنبع الأساس لكل مصادر المعرفة في الغرب ، بدا الأوربيون في بداية نهضتهم المادية برفض الحقائق الدينية واحدة تلو الأخرى وبشكل ارتجالي ، وانفعالي ، وبعد إن استقرت حضارتهم المادية ، مع ضعف الجانب الآخر ـ الديني ـ في بلدانهم ، واضمحلاله بدءوا يتناولون الحقائق الدينية واحدة بعد الأخرى ، ورفضها من جديد ، ولكن رفضهم هذه المرة لتلك الحقائق كان يأخذ عليه إضفاء الجانب العلمي ، والتفسير الموضوعي لتلك الحقائق .

فقد جاءت شبهات المستشرقين ، والأوربيين حول الوحي القرآني تضفي جانب البحث العلمي الهادئ ، والنقد الموضوعي البناء ..

فقد انتقلوا من التكذيب ، وكيل التهم ، والتحقير ، والهجوم على شخصية النبي محمدﷺ ، وشخصية مجتمعه العربي البدوي ، إلى إضفاء صفات الصدق ، والأمانة ، والإخلاص ، والذكاء على شخصية النبي محمد ﷺ ، مما جعله إن يتخيل نفسه انه مما يوحى إليه .

وخلاصة ما قيل في صياغة هذه الشبهة : إن محمد ﷺ قد أدرك بقوة عقله الذاتية ، وبما يتمتع به من نقاء ، وصفاء روحي ، ونفسي ؛ بطلان ما كان عليه قومه من عبادة الأصنام ، كما أدرك ذلك أيضا أفراد آخرون من قومه ؛ وبفطرته الزكية ، بالإضافة إلى بعض الظروف الموضوعية كالفقر حالت دون إن يمارس أساليب الظلم الاجتماعي من الاضطهاد ، واكل المال بالباطل ، أو

الانغماس بالشهوات ، وارتكاب الفواحش كالاستمتاع بالسكر ، والتسري ، وعزف القيان ، وغير ذلك من القبائح.

وانه طال تفكيره من اجل إنقاذهم من ذلك الشرك القبيح ، وتطهيرهم من تلك الفواحش ، والمنكرات .

وقد استفاد من النصارى الذين لقيهم في أسفاره ، أو في مكة نفسها الكثير من المعلومات عن الأنبياء ، والمرسلين ، ممن بعثهم الله في بني إسرائيل ، وغيرهم ، فأخرجهم من الظلمات إلى النور ؛ كما انه لم يقبل جميع المعلومات التي وصلت إليه من هؤلاء النصارى ، لما عرض للنصرانية من الأفكار الوثنية، والانحرافات ، كإلوهية المسيح ، وأمه ، وغير ذلك من البدع ..

وانه كان قد سمع إن الله سيبعث نبيا مثل أولئك الأنبياء من عرب الحجاز بشر به عيسى المسيح ، وغيره من الأنبياء ، وتولد في نفسه أمل ، ورجاء في إن يكون ذلك النبي الذي إن أوانه ، واخذ يتوسل إلى تحقيق هذا الأمل بالانقطاع إلى عبادة الله تعالى في خلواته بغار جراء.

وهناك قوي إيمانه ، وسما وجدانه فاتسع محيط تفكيره ، وتضاعف نور بصيرته ، فاهتدى عقله الكبير إلى الآيات ، والدلائل البينة في السماء ، والأرض ، على وحدانية الله سبحانه خالق الكون ، ومدبر أموره ، وبذلك أصبح أهلا لهداية الناس ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور .

ثم ما زال يفكر ، ويتأمل ، ويتقلب بين الآلام ، والآمال ؛ حتى أيقن انه هو : النبي المنتظر ، الذي يبعثه الإله لهداية البشرية ، وتجلى له هذا الاعتقاد في الرؤى المنامية ، ثم قوي حتى صار يتمثل له الملك يلقنه الوحي في اليقظة .

وإما المعلومات التي جاءته من هذا الوحي ، فهي مستمدة في الأصل من تلك المعلومات التي حصل عليها من اليهود ، والنصارى ، ومما هداه إليه عقله ، وتفكيره ، في التمييز بين ما يصح منها ، وما لا يصح ؛ ولكنها كانت تتجلى ، وكأنها وحي السماء ، وخطاب الخالق عز ، وجل ؛ يأتيه به الناموس الأكبر ، الذي كان ينزل على موسى بن عمران ، وعيسى بن مريم ، وغيرهم من النبيين عليهم السلام[1] ..

ومن الملاحظ على ذلك إن كل الشواهد التاريخية ، والأجواء ، والظروف التي مر بها النبي صلى الله عليه وآله تأبى التصديق بهذه النظرية والقبول بها وذلك :

أولا : إن انطلاق الباحث الغربي مبني على أساس مفروض على بحثه بشكل مسبق ، وهو : إن الوحي القرآني ليس وحيا ألاهيا ، ومنفصلا عن الذات ، وإنما هو وحي بشري مرتبط بذات النبي محمد صلى الله عليه وآله وليس منفصلا عنها .

وعلى هذا الأساس فكل فكرة يطرحونها ، ويأتون بالشواهد عليها يكون من باب ترسيخ هذا المنطلق ، وبذلك يفقد البحث علميته وموضوعيته من الأساس .

ثانيا : إن الشواهد التاريخ التي أتوا بها لتدعيم موقفهم لا تقوم على أساس تاريخي رصين ، وإنما كانت ، مبنية على أساس تحليلات ، ورؤى ، وخيالات نفسية بعيدة عن الواقع التاريخ ، والبحث العلمي .

(١) **الشهيد السيد محمد باقر الحكيم رحمه الله: علوم القران : ص٢٦٣ .**

ومن الأمثلة على ذلك ما يذكرونه من تفاصيل في مسالة لقاء الراهب بحيرا مع النبي محمدﷺ ، وهو بصحبة عمه أبي طالب ، فقد فروضوا استنتاجات ، ومحادثات دينية ، وفلسفية معقدة ، وبعيدة كل البعد عن الواقع الموضوعي وطبيعة الأشياء المفترضة .

وما يذكرونه أيضا من تعليل اطلاعه على أخبار عاد ، فأنهم يحللون ذلك نتيجة لمرور النبي محمد ﷺ بأرض الاحقاف ، مع إن هذه الأرض لا تقع على الطريق الاعتيادي لمرور القوافل التجارية ، بالإضافة إلى إن النقل التاريخي لم يذكر إن النبي محمد ﷺ قد مر بهذه الأرض ، أو تحدث عنها قبل بعثه .

ثالثا : إن فرض تعلم رسول الله ﷺ من نصارى الشام ، وغيرهم لا يساعد النقل التاريخي ، والفرض العلمي كذلك عليه ، فقد اتهم مشركو قريش رسول الله ﷺ بشتى التهم بما في ذلك إنه قد تلقى تعليمه من رجل معينا في مكة ، كالحداد الرومي الذي عنده حض من التعليم ، والنباهة ، ولعله كان يعترض على بعض أفعالهم ، لذلك كان محط أنظارهم في إن يكيلوا تهمة تعليم رسول الله ﷺ إليه دون غيره ومن دون تردد ؛ مع إن التاريخ لم يذكر لنا إنهم اتهموا رسول الله ﷺ بأنه تلقى تعليمه في الشام ، أو غيرها مع إن مثل هذا الاتهام يوفر لهم الكثير من الدعم الشعبي ، والمعنوي فانه اقرب إلى اتهامه بالخيانة التي تؤدي إلى نفرة الناس منه بسهولة اكبر من اتهامهم بتعلمه من رجل يعيش بينهم ، ويعرف الجميع إمكاناته وقدراته الشخصية ، وتحركاته بينهم .

رابعا : إن الفرض العلمي الذي يرى إن رسول الله ﷺ كان صاحب تأمل ، ومعاناة ، وتفكير طويل ، كان يستلزم إن ينطلق الرسول ﷺ بشكل قوي

وجازم ، ومن اللحظة الأولى في طرح أفكاره ، ومفاهيمه ، ومناهجه عن الكون ، والإنسان ، والحياة ، والمجتمع ، مع النقل التاريخ يذكر لنا إن تلقي النبي محمد ﷺ للوحي والدعوة إلى الإسلام بدا بشكل المتخوف والمضطرب وانتقل إلى الدعوة إلى التوحيد في مرحلة أخرى ، ومن ثم انطلق إلى شتى المجالات في مرحلة ثالثة ، وبشكل متدرج .

وبذلك نرى ما افترضوه من كون البحث في وحي القران من انه بحث علمي قد اخذ على عاتقه جانب الموضوعية ، والحياد ، لم يكن في حقيقته ، وواقعه كذلك ، بل كان بحثا مشحون بانفعالات نفسيه ، والأحكام المسبقة ، والآراء المجافية للواقع والموضوعية .

٥- القران كتاب وحي ألهي إلى النبي[1]

وبعد إن استعرضنا عدم صحة ما يمكن افتراضه من كون الوحي القرآني لم يكن متلقي من جهة أخرى خارجة عن ذات النبي محمد ﷺ ، لا يبقى إلا إن يثبت انه موحى من قبل الله سبحانه وتعالى لكون الوقائع التاريخية ، الفروض العلمية كلها بصالح كون القران الكريم صادر عن الوحي الإلهي ، وخارج ذات النبي محمد ﷺ.

ومن كون القران الكريم هو الكتاب المنزل وحيا من الله سبحانه على قلب نبيه محمد ﷺ ما جاء في قوله سبحانه ، وتعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[١] .. ، وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[٢] ..

فالقران الكريم لا يشك بكونه الكتاب المنزل من قبل الله سبحانه وتعالى ، وذلك مع ما تقدم إن هناك معطيات على الأرض استطاع القران خلقها في المجتمع الذي نزل فيه ، وان إسرار الإعجاز التي تمتع بها ذلك الكتاب العظيم لتوحي وبضرس قاطع ـ القران الكريم ـ لم يكن فيه ولو شيء بسيط جدا من نتاج تلك الأمة ، ولا من

(١) سورة الشعراء . الآية . ١٩٢.

(٢) سورة الأنبياء . الآية . ١٠.

نتاج رجالاتها ، مهما تضافرت جهودهم في خلق مثل هذا النتاج ، لأننا لوضعنا الصفر إلى جانب الصفر الآخر إلى جانب الصفر الثالث وهكذا لم يستطع ذلك إن يعينا أكثر من مرتبة الصفر مهما بلغ تضافر الصفر في ذلك .

فالمجتمع الذي كان عطاء صفرا على مر قرن عديدة ، ومتطاولة بحسب الوقائع التاريخية ليس فيه قابلية للصناعة ، والبناء ، والتقدم ، والازدهار ، وخلق واقع بكل المعايير في غضون عقود بسيطة من الزمن لان ذلك بحسب الفرض العلمي مستحيلا جدا .

٦- المعجزة تلازم النبوة

عند ما نأتي إلى أي حقيقة من الحقائق ، أو مفهوم من المفاهيم التي يدركها الإنسان سواء كانت تلك من الأمور الدنيوية المادية ، والحسية ، أم من الأمور الخارجة عن نطاق المادة ، وألحس كما في الحقائق التي يرددها الإنسان عن الخالق ، والعقل ، والروح ...الخ ، نجدها دائما ترتبط ، وتستلزم أمور ، وحقائق أخرى ؛ فان أدركنا لمفهوم النار مثلا يلازمه دائما إدراك حقيقة أخرى لا تنفك عنه أبدا ، وهي : الحرارة ، وكذلك أدركنا للحديد يلازمه أيضا تمدده بالحرارة ، أو قابليته للطرق ، والتعدين ، وكذلك أدركنا للذات الإلهية يلازمه دائما كونها واجدة لكل الكمالات ، وبأعلى مراتبها في مرتبة الذات من حياة ، وعلم ، وقدرة ...الخ ، وكذلك في إدراكنا لحقيقة النبوة فان من الملازم لها هو : المعجزة ، فإننا لا يكمن إن نتصور في يوم من الأيام إن الله بعث نبيا من الأنبياء من دون إن يعضده بالمعجزة ؛ لان ذلك يعني إن جميع الذين بعث إليهم

النبي في ذلك الزمان هم من المصدقين له تمام التصديق ، بل ولم ينتابهم أدنى شعور بالارتياب ، والشك ، ولو كان بسيطا ، وهذا بحساب الاحتمال أمر لا يكمن احتماله ، والتصديق به ، ولو بنسبة ضئيلة جدا ؛ وبما إن مهمة الأنبياء ، والمرسلين من قبل الله سبحانه ، وتعالى إثبات الحجة ، على الجميع من اجل إيصال رسالة السماء إليهم كاملة تامة ، ومن دون نقص ، للجميع سواء المصدقين منهم ، والمسلمين والذين لم ينتابهم أدنى شك تجاه أنبياءهم ، أم المنكرين ، والمكذبين ، والمناوئين منهم للأنبياء فان الحجة على الجميع أمر ملازم للبعثة الأنبياء كي تكون سند للمصدقين ، وردعا للمعتدين المكذبين .

وعليه فلابد إن فلابد إن تكون حجة الأنبياء واضحة ، وقوية ، وغير مقدورة للآخرين حتى لا تبطل حجتهم بالإتيان بمثلها من قبل الآخرين.

٧- ما هي المعجزة؟!..

عرف العلماء المعجزة ما يلي :

١ - جاء في كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد ما أفاده الشيخ الطوسي رحمه الله : وطريق معرفة صدقه ـ أي النبي ـ ظهور المعجزة على يديه ، وهو : ثبوت ما ليس بمعتاد ، أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ، ومطابقة الدعوى[٢٣] ..

(٢٣) العلامة الحسن بن يوسف بن الطهر الحلي : المراد في شرح الاعتقاد : ص٤٧٤ .

٢- وقد عرفه الشيخ حسن زادة أملي بأنه : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي ، مع عدم المعارضة[٢٤]..

٣- كما عرفها الشيخ محمد تقي اليزدي بأنها عبارة عن : الأمر الخارق للعادة ؛ تظهر من مدعي النبوة بإرادة الله ، وتكون دليلا على صدق دعواه[٢٥]..

٤- وقد عرف الشهيد الإمام محمد باقر الصدر قدس سره المعجزة بأنها : إن يحدث النبي تغييرا في الكون يتحدى به القوانين الطبيعية التي تثبت عن طريق الحس ، والتجربة ، ومثله في علوم القران للسيد الشهيد محمد باقر الحكيم رحمه الله[٢٦]..

وبذلك يظهر من خلال تعاريف هؤلاء العلماء ، وغيرهم إنهم يتفقون على إن المعجزة التي هي ملازمة لدعوى كل نبي ، وحجة على دعواه هي الإتيان بالأمر الخارق للعادة..

ونعود مرة أخرى ، ونتساءل ما ذا يقصد العلماء (رضوان الله عليهم) بالخارق للعادة ؟!..

هنا تأتينا الأجوبة مختلفة في تبين حقيقة هذا الأمر ، فيستشف من البعض منهم بأنها على خلاف القانون الطبيعي ـ أي العلية الطبيعية ـ ، فقد جاء عن السيد الشهيد الإمام محمد باقر الصدر رحمه الله في بيان ذلك : (..فمن وضع الماء ليكون حارا فارتفعت درجة حرارته يطبق قانونا

---

(٢٤) المصدر السابق .

(٢٥) الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي : دروس في العقيدة الإسلامية :ص٢١٥.

(٢٦) أية الله السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره : بحوث في علوم القران : ص٩٩ .

طبيعيا عرفه الناس عن طريق الحس ، والتجربة ، وهو : انتقال الحرارة من الجسم الحار إلى الحسم الذي يجاوره ؛ وإما من ادعى انه يجعل الماء حارا بدون الاستعانة بأي طاقة حرارية ، وحقق ذلك فعلا فهو يتحدى قوانين الطبيعة التي يكشف عنها الحس ، والتجربة..)[٢٧]

وقد صرح البعض الآخر بكسر قانون العلية كما هو رأي الشيخ محمد تقي اليزدي حيث يقول : (.. أ- وجود بعض الظواهر الخارقة للعادة ، والتي لا يمكن إن توجد من خلال الأسباب ، والعلل الطبيعية العادية..)[٢٨]..

كما انه يقف في المقابل من ذلك طائفة من العلماء لا يقبلون بهذا الرأي منهم ما قاله السيد محسن الخرازي في شرحه على عقائد الأمامية : (..ان الإعجاز لا يكون خارج عن أصل العلية ؛ فان العلل المعنوية أيضا من العلل ، ومشمولة لتلك القاعدة ..)[٢٩].

كما إن للشهيد الشيخ العلامة المطهري رأي في المعجزة أكثر تفصيلا ، وتعميقا ، فقد ذكر ما يلي :

يرى البعض إن القضية ليست قضية معجزة ، بل هي : قضية القبول بوجود الله ، أو عدم القبول بوجوده ، أي إنهم يقولون : إذا نحن قبلنا بوجود الله ، فلا حاجة بنا إلى الدخول في قضية المعجزة ؛ إذ إن الله الذي

---

(٢٧) أية الله السيد الشهيد محمد باقر الصدر ﭬ: حوث في علوم القران : ص.١٠٠

(٢٨) الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي: دروس في العقيدة الإسلامية : ص٢١٥ .

(٢٩) السيد محسن الخرازي : بداية المعارف الإلهية على شرح عقائد الأمامية : ص٢٤٣ .

نقبل به له مطلق القدرة (وهو على كل شيء قدير) فهو قادر على إحياء الميت ، وإحالة العصا إلى حية ، ونقل الرسول في لحظة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، بل والسير في السموات .

ولكن الأمر بخلاف هذا الظن ، وليس بهذه البساطة التي تقول إن القبول بوجود الله يحل جميع المسائل .

ولتوضيح ذلك نقول :

١- يتصور البعض إن المعجزة هي وقوع أمر بغير سبب ، إلا إن هذا التعريف بعيد عن الصحة كثيرا ، ولعل الماديين ، والذين ينكرون المعجزة هم من عزفوا على هذه النغمة أولا ، ومن ثم شاعت على الألسن .

وذلك لان الذين يؤيدون المعجزة يريدون منها إن تكون دليلا على شيء فإذا حصلت المعجزة بدون علة ؛ فلن تكون ذات دلالة امرأ أبدا .

ولنفرض فرض المستحيل إن امرأ قد وقع بدون علة ، عندئذ لا يمكن إثبات أي شيء في العالم ، فإذا افترضنا إن ليس للعالم نظام ، وان الشيء يمكن إن يحصل بدون علة . لذلك فهذا لا يصلح للمعجزة البتة.

٢- وقد يقول آخرون إن المعجزة لا تعني حدوث أمر بغير سبب ، أنها ليست شذوذا عن قانون العلية ، ولكنها بدل من إن تكون لها علـة

واقعية ، تكون لها علة بديلة ، أي إن المعجزة هـي : اسـتبدال علـة بأخرى .

فمثلا العلة الواقعية لظهور الإنسان هي : الامتزاج بين الذكر ، والأنثى ، فإذا أزيحت هذه العلة الحقيقية ، واتي بعلة أخرى بمكانها، فظهر إنسان بغير امتزاج بين الذكر ، والأنثى فتلك هي المعجزة .

هذا القول ناشئ عن عدم الاطلاع على العلوم العقلية ، وذلك إننا إذا قبلنا بمبدأ العلة ، والمعلول ، وانه هو السائد في العالم ، فلا يمكن نقضه ، أو تغييره ،وتبديله إذ انه ليس عقدا تعاقديا ، إنما هو حقيقية واقعية لا تختلف فيها .

ففي الطبيعة إذا كان (أ) علة جود (ب) ، فهناك بين (أ ، ب) رابط واقعي ، وحقيقي ،بحيث إن ايا منها ليست له رابطة مماثلة مع طرف ثالث ، وليس لأي منهما ، وجود بغير الآخر ، الخلاصة إن العلة الحقيقية لامر ما هي علة ، واحدة فقط ، والأمر الواحد لا يمكن إن يرتبط برابط العلية ، والمعلولية بشيئين اثنين .

لذلك في المثال السابق لا يمكن إن يكون (ج) بمكان (أ) ، ولا إن يصبح (د) معلول (أ) بدلا من (ب) .

٣- هناك بإزاء هذين التعريفين تعريف ثالث للمعجزة ، يجيـب عـلى جميع الاعتراضـات العقليـة السـابقة ، وهـو إن المعجـزة لا تلغـي

قانون العلة ، والمعلـول ، ولا هـي اسـتثناء منـه ، بـل هـي خـرق لقوانين الطبيعة.

هنالك فرق بين خرق قانون العلة ، والمعلول ، وخرق قوانين الطبيعة ، فالمعجزة لا تعني حدوث أمر عن غير طريق العلة ، والمعلول الأصلي ، إنما المعجزة هي التي تحدث بخلاف المسير العادي ، والجريان الطبيعي للأمور.

وبعبارة أوضح : المعجزة خروج عن المجرى العادي إلى الحد الذي يظهر فيه تدخل ما وراء الطبيعة ظهورا واضحا .

ففي هذه الحالة لا تكون علة قد أخذت مكان أخرى ، إذ إن الرابط بين العلة ، والمعلول ، وهو رابط أصيل ، موجود ، ومقبول ، إما المعجزة فيمكن توجيهها هكذا :

إن العلل الواقعية للأشياء ، والتي يريد الإنسان إن يصل إليها عن طريق التجربة ، مازالت مجهولة ، والله وحده يعلم العلل الحقيقية للأشياء ، والإنسان إنما يصل بتجاربه ، واختباراته إلى سلسلة من المقارنات ، والعلاقات فقط ، ويحسب أنها هي : العلاقة العلية .

وعلى ذلك فالمعجزة هي : ما يحدث عن غير الطريق المألوف الذي يظن الناس انه يحدث به عادة[٣٠] ..

---

(٣٠) الشهيد العلامة مرتضى المطهري : معرفة القران : ص٩٨ .

والتحقيق في هذه المسالة موكول إلى بحوث قادمة أوسع إنشاء الله تعالى..

وبذلك يتضح إن المعجزة غير السبق العلمي ، وغير الفنون ، والشعوذات التي يحصل عليها البعض نتيجة ، العبقريات ، والذهنيات التي يتمتع بها ذلك البعض ، أو التعليم ، والتدريب المستمر ، أو الرياضات الروحية ، فمن يكشف علاجا لداء السرطان ، ويسبق بذلك اقرأنه مثلا لا يعتبر مثل عمله معجز ، كما إن من يقوم بإعمال بهلوانية ، وسحرية تبهر الناظرين أيضا لا يعتبر فعله معجز .

٨- القران الكريم الكتاب المعجز ذاتا

إن كلمة المعجزة وان لم ترد في القران الكريم بلفظها المختص ، إلا إن بعض الآيات عبرت عن المعجزة بما يلازمها من الكلام . فقد تحدى القران الكريم المشركين بان يأتوا بمثله ، وتحداهم بان يأتوا بعشر سور منه ، وتحداهم مرة أخرى بان يأتوا بسورة منه ؛ فيكون كل من يقبل التحدي ، ويأتي بمثل الفعل الذي كان موضع التحدي يعبر عنه بالقادرة ، كما إن كل من قبل التحدي ، ولم يستطع إن يأتي بمثل الفعل كذلك يعبر عنه بالعاجز ، والفعل الذي أعجزه بالمعجزة ، فلم يكن المصطلح مستحدث كما عبر عنه الشهيد العلامة المطهري رحمه الله: (..والحقيقة إن القران لم يستعمل كلمة (المعجزة) ،ولا عبارة خارق للعادة فكلتاهما من اصطلاحات علماء الإسلام ..)[٣١].

---

(٣١) الشهيد الشيخ مرتضى المطهري : معرفة القران : ص٩٥ .

ولذلك فانه : بعد ثبوت كون النبي محمد ﷺ هو :خاتم الأنبياء ، والمرسلين ، وان رسالته السماوية هي : خاتمة الرسالة السماوية ، وبعد إن أثبتنا إن المعجزة ملازمة لكل نبي ، لأنها إتمام للحجة ، وتأكيدا لصدق المدعي يتضح بجلاء تام ؛ إن المعجزة التي لابد إن ترافق النبي محمد ﷺ ورسالته العظمى وإتباعه على مر العصور هي : من المعجزات التي تختلف عن كل معجزات الأنبياء ذاتا ، ومضمونا ، فإننا نلاحظ إن معظم معجزات الأنبياء السابقين ارتبطت بأمور طبيعية مثل إحياء الموتى ، وتحول العصا إلى حية ، وانفلاق البحر ، وأمثالها ...

فكانت مثل هذه المعجزات مرتبطة بحوادث مؤقتة ـ أي إنها لها زمان ، ومكان معينين ـ وسرعان ما ينتهي زمانها ، ومكانها ، وتضمحل ، وتنتهي ، ولا يبقى منها سوى النقل التاريخي في الغالب ..

ولكن هذا الأمر يختلف بالنسبة إلى دين خالد يراد له إن يواكب الإنسان ففي كل ادوار حياته فان المعجزة المؤقتة غير مجدية في هذا المجال ، فان مثل هذا الدين لابد إن تكون له معجزة خالدة بحجمه ، وبمستوى التحديات الملقاة على عاتقه .

ومن هنا كانت معجزة الإسلام الخالدة ليست مرتبطة بالأمور الطبيعية التي حدثت للأنبياء السابقين ، وهذا لا يعني إن نبي الإسلام النبي محمدﷺ لم يكن له معجزات مرتبطة بالأمور الطبيعية ، كالأنبياء السابقين ، بل كانت له معجزات مرتبطة بالطبيعة ، كانشقاق القمر ، وشهادة الحصى ، والشجر له بالنبوة ، والتصديق له بالرسالة ، وغيرها كثير ، بل كان اهتمام الإسلام كان منصبا على معجزة كبرى ، رافقت

الرسول ﷺ في كل سكنت ، وحركة من حياة رسول الله ﷺ ، وترافق المسلمين بعده جليلا بعد جيل إلى يوم يبعثون وهو (القران الكريم).

لقد انصب إعجاز القران الكريم على جانبين رئيسيين ، وهما جانب المحتوى ، وجانب المضمون .

فقد شع القران الكريم في بقعة تعد من أكثر بقاع العالم تخلفا ، ليهدي البشرية جميعا إلى مساءل كثيرة لم تكن معروفة عندهم ولو بقوا قرونا متطاولة لم يكن باستطاعتهم الوصول إليها .

ونطق به نبي أمي لا يعرف من القراءة ، والكتابة شيء ، ليصبح بعد ذلك اللسان المعبر ، والدليل القاطع لكل من يريد إن يستشهد على قضية ما ، وعلى رأي من الآراء ، وليكون مقدار التفاخر بين للعلماء ، والمفكرين منوطا بسعة ما يفهمونه منه .

وقد تكلم القران الكريم عن أمور وقعت في الماضي البعيد ، وأمور مستقبلية بتفاصيل تحفها يد الغيب لم تكن باستطاعة أي احد مهما بلغ إن يفصل فيها بما فصله ، أو إن يجمل ما أجمله القران الكريم ..

٩- القران الكريم خير شاهد على عصمة النبي محمد[١]

اتضح مما سبق إن القران هو : الكتاب الموحى من قبل الله سبحانه ، وهو : الكتاب المعجز ذاتا ـ أي الممتد بإعجازه ما دام له وجود ، وبقاء ، وكما انه الكتاب الأساسي لهداية الناس أجمعين لعدم اختصاصه ، بعرق من الأعراق ، أو بقومية من القوميات ، أو بمجموعة من المجوعات

البشرية لأنه يمثل رسالة السماء إلى أهل الأرض ، والمصدر الأول لاطلاع الناس عن عالم الغيب ، والحقائق السماوية الحقة بصدق ، وأمانة ، وبمعرفة تامة ، ومن دون ارتياب لدقة وسعة التفاصيل التي تلكم عنها القران الكريم ، هذا الامتيازات ، وغيرها تجعله كتاب معصوما لا يمكن إن نتصور ، ولو للحظة واحدة إن ينتابه شيء من الخطأ ، والاشتباه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٣٢]..

هذا كله بالنسبة إلى كتاب الله سبحانه ، وتعالى ، إما بالنسبة إلى رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله فانه يثبت له بنفس ما ثبت لكتاب الله ، لأنه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد عاش كل لحظاته ، وأيامه ، مندمجا مع هذا الحدث العظيم ، الذي كان يترقبه ومن أول وجوده ، بوجدانه ، وعقله ، وروحه ، ومن وراءه ، يده الغيب التي كانت تصنعه وتعده إلى هذه اللحظات العظيمة ، فلم يكن وجود رسول الله صلى الله عليه وآله كوجود غيره من الناس ، ولم يكن إعداده ، واستعداده كغيره أيضا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله معد لهذا الحدث العظيم إعدادا إلهيا خاصا فلابد إن يتمتع بميزات وصفات لم تكن عند غيره من الناس ، ولذلك فلابد إن تلازمه العصمة من الخطاء والزلل في كل لحظات حياته ، وتملأ قلبه ، وعقله ، ونفسه من اجل تحمل أعباء ما أنيط إليه من مهمة عظمى ، وهي : الرسالة الجامعة لكل الكمالات ، والمانعة عن كل الموبقات ، ومن هنا تكون عصمة صاحب الرسالة أمر لا يمكن انفصاله ، وتجزئته عن كل هذه الإحداث العظيمة

---

(٣٢) سورة فصلت . الآية . ٤١- ٤٢.

التي رافقت الرسالة الإسلامية الإلهية ، فإنها أمور مترابط ، وتعطينا نتائج يقينية ، واحدة .

١٠- شهادة القران على عصمة أهل بيت النبي^ وحملته

إن رسالة بهذا الحجم ، وبهذا العطاء الغزير الذي لا ينضب معينه ، لابد إن يكون لحساب الزمن فيه دخل ، ولأجل إن تؤدي هذا الرسالة دورها بعطاء واحد، ولضمان إن لا يكون للزمن تأثير سلبي ، فيؤدي إلى انحرافها ، وتنصلها عن تحمل هذا العبء الثقيل جاء دور الأئمة من أهل بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله ليكونوا حملة القران ، والمدافعين عن قيم رسالة السماء من الانحراف ، ومن تلاعب الطغاة ، وأصحاب النفوس المريضة في تزوير الحقائق ، وطمس المعالم ، فكان دورهم دور رسول الله صلى الله عليه وآله تجاه هذا الرسالة السامية ، وما داموا قد تضلعوا لهذا الأمر فأنهم سوف يكونوا اشد الناس قربا ، وأكثرهم تماس بقيم ، وأهدف رسالتهم ، وعليه ، فلا بد إن ، يعشوا تلك القيم ، والأهداف بكل شعورهم ، ووجدانهم ، وسكناتهم ، وحركاتهم ، فلابد إن تكون ليد الغيب امتدادا لرعايتهم ، وإعدادهم ، لكي تكسبهم القدرة ، والمنعة للاضطلاع بهذا الدور العظيم للوصول إلى الهدف المنشود من وجودهم ، فكانت العصمة أمر لا يمكن تصور خلوه منهم للترابط الوثيق بين كل هذه العناصر ، وامتزاجها فيما بينها لتؤدي نتيجة واحدة تمتد على مر العصور ، والحمد لله رب والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد ، واله الطيبين الطاهرين ، وصحبه المنتجبين